دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر

أ/ حسين قادري
قسم العلوم السياسية
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة باتنة

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى متابعة وتحليل الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في الجزائر بمختلف أنواعها في ترقية ونشر اللغة العربية، وأهم الصعوبات التي تعترضها، انطلاقا من ماضي الجزائر وحاضرها الثقافي. مع دراسة عينة لتوزيع الصحف باللغة العربية في منطقة جنوب شرق البلاد.

ويخلص المقال إلى مجموعة من التوصيات نرى أن العمل بها سيدعم أكثر نشر اللغة العربية ويساهم في ترقيتها في الجزئر مستقبلا.

Résumé:

The aim of the essay is to analyze the role which play the mass media in Algeria, in generalizing and promoting the Arab language. To stress especially on competition between different languages.

The essay summarse several recommendations on how to use and promote the Arab language in the future in Algeria.

مقدمة:

تنتشر اللغة العربية ويتسع مجال إستعمالها بمدى ما تتصف به من سهولة وبساطة ومسايرتها للواقع والتطور، ثم ما قد تحمله من رسالة، فاللغة الإنجليزية اليوم فرضت نفسها عالميا لأنها أكثر تأهيلا لحمل رسالة التكنولوجية والتطور العلمي، ومن يريد أن يساير هذا الواقع فلا بد وأن يساره باللغة الإنجليزية.

هكذا كان حال اللغة العربية، لم تكن اللغة التي يتكلم بها أكثرية السكان ولم تكن مؤهلة للإنتشار إلا بفضل القرآن الكريم الذي كرمها وجعل لدى البشر حافزا قويا لتعلمها وإتساع نطاق إستعمالها، وأهلها لأن تكون لغة الخطابة والبحث ووسيلة تلقين العلوم النظرية والتطبيقية، ومازالت مصادر قوتها وإستمرارها تنبع من الدين الإسلامي. فبالرغم من ترجمة القرآن الكريم لعدة لغات، إلا أن الرجوع للأصل (النسخة العربية) هو الأساس، مما يبقي سبب نقائها وإنتشارها قائما بإستمرار، ويبرر إقبال المسلمين من غير العرب على هذه اللغة في جميع أنحاء العالم.

وما يؤكد صحة هذا هو تراجع إستعمال اللغة العربية بتراجع المجال الحيوي للإسلام، أمام الزحف الأوروبي والسيطرة الإستعمارية والإنحطاط الذي أصاب العالم الإسلامي، فتراجعت مكانة اللغة العربية في العالم ونعتت بالمتخلفة وتم التنكر لها حتى من قبل أبنائها الذين هاجروها وأتجهوا إلى العامية بحجة الخصوصية وصعوبة تعلم قواعدها وأسباب أخرى.

ومع كل ذلك تبقى اللغة أداة إتصال واسع ومتسارع للجماهير وما زاد من ذلك هو الإعلام، فمع التطور التكنولوجي تطورت اللغة كذلك، فعبر الصحف وأجهزة الراديو والتلفزيون والمسرح والسينما...وقع هناك تنافس في إختيار الكلمة للتأثير في الناس، فالسياسيين للتعريف ببرامجهم وتمجيدها والمناورة على الآخرين، والتجار للترويج لمنتجاتهم والدعاية لها، والمثقفون لتبليغ أفكارهم وإبداعاتهم... إلخ.

ومع ظهور وتطور وسائل الإعلام، كان من المتوقع أن تعود اللغة العربية للمكانة اللائقة بها وسط اللغات الأخرى، إلا أنها ظلت في مؤخرة اللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية...إلخ، وإن كان لم تستسلم بشكل نهائي، بل ظلت تصارع على جبهات داخليا وعالميا.

ففي الجزائر، كباقي البلدان العربية لعبت وسائل الإعلام بمختلف أنواعها دورا في ترقية هذه اللغة وانتشارها، واختلفت من بلد لآخر، بل من منطقة لأخرى داخل بلد واحد، فمنطقة تملك مؤهلات وخصوصيات لانتشار هذه اللغة على خلاف منطقة أخرى، ووسائل الإعلام ليست وحدها المتغير المهم في ذلك، إذ يأتي التعليم في الدرجة الأولى، وفي ذلك جاء في توصيات مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد في طنجه بالمغرب سنة 1981 أن التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية... ولكنه استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعليم الإنسان بلغته أقوى مردودا وأبعد أثرا.(1)

فرضيات الدراسة:

إن اللغة العربية لا يمكن أن تنتشر عبر وسائل الإعلام، إذا لم تكن هناك سياسة تدعمها كلغة وطنية مقابل اللغات الأجنبية الزاحفة بقوة، لما تمتلكه من مؤهلات في ظل العولمة التي لا تعترف بالحدود ولا بخصوصيات الشعوب، فمكانة اللغة العربية في الجزائر تكاد تكون لها وضعية خاصة، هذه الخصوصية أضفت وضعا خاصا على وسائل الإعلام بخلاف البلدان العربية الأخرى، ففي أي بلد عربي إذا وجدنا أن لغة أجنبية سائدة على حساب العربية، فإن ذلك يدل على خلل في موقع ما، كما هو الحال إذا وجدنا لغة سائدة في فرنسا غير اللغة الفرنسية .

إشكالية الدراسة:

تكمن الإشكالية في: كيفية أداء وسائل الإعلام المختلفة لدورها في تعميم وإنتشار اللغة العربية في بلادنا؟ وهذا بدوره يطرح عدة تساؤلات:

. هل، وكيف لعبت وسائل الإعلام دورا في إنتشار اللغة العربية في الجزائر؟

. هل تساهم وسائل الإعلام باللغة العربية في نشر هذه اللغة؟ وما هو مستوى هذه المساهمة؟

. ما هو سر إدعاء بعض وسائل الإعلام باللغة العربية أنها تحمل هموم هذه اللغة، بينما في واقع ممارستها لا تلتزم بذلك ؟

. ما هي العراقيل التي تواجه وسائل الإعلام باللغة العربية ؟ وكيف يتم تفعيل هذه الوسائل كي تؤدي دورها في نشر اللغة العربية في بلادنا؟

<u>هدف الدراسة:</u>

يهدف هذا البحث إلى إعطاء معلومات بإمكانها أن تفيد وسائل الإعلام في إنتشار اللغة العربية في بلادنا، ومن ثم معرفة أهم وسائل الإعلام في السعي لتحقيق إنتشار اللغة العربية، ويندرج تحت هذا الهدف خاصة التعريف بـ:

1 . دور الصحافة المكتوبة في نشر اللغة العربية.
2 . دور الإذاعة في نشر اللغة العربية.
3 . دور التلفزيون في نشر اللغة العربية.
4 . أفضل وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية.
5 . معرفة أفضل الطرق كي تساهم وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية.
6 . محاولة الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تساهم في نشر اللغة العربية أكثر.

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة وهذا بما يتماش وهدف الدراسة، وفي ظل نقص المراجع في هذا الموضوع والخاصة بالجزائر، توجهنا إلى التركيز على دراسة بعض عينات لوسائل الإعلام الجزائرية الناطقة والصادرة باللغة العربية ودورها في ذلك، مع محاولة تعميمها بحذر شديد، آخذين في عين الإعتبار الوسط الذي نتعامل معه زمانا ومكانا وخصوصية كل منطقة.

وبتحليل مضمون الرسالة الإعلامية لهذه الوسائل وأسلوبها وطريقتها يمكن تحديد دورها في إنتشار اللغة العربية في بلادنا.

من بين الصعوبات الماثلة أمامنا للبحث في هذا الموضوع هو صعوبة الوصول للحقيقة، لأن دراسة وسائل الإعلام باللغة العربية خاصة في الجزائر يرتبط إلى حد كبير بالتطور السياسي وتأثيره، فلو ترك الإعلام حرا بدون تدخلات وضغوطات لكانت النتائج بخلاف ما قد نصل إليه، ولذلك في كثير من الأحيان لا تعبر النتائج عن الواقع الحقيقي الذي لو توفرت ظروف أخرى لكانت بالتأكيد نتائج مخالفة.

وفي النهاية نأمل من خلال هذا البحث أن نساهم في كيفية نشر اللغة العربية من خلال مجموعة من النتائج والتوصيات التي نتمنى أن تكون مفيدة.

أولا: دور الصحافة في نشر اللغة العربية في الجزائر:.

اللغة والتطور عنصران متلازمان منذ أقدم العصور، ولذلك فإن الفرق بين لغة وأخرى إنما هو في الوسائل المتبعة لتنمية اللغات وإثراء تراثها التعبيري،(2) فكلما إزداد تفكير المجتمع إتساعا وثقافة تطورت لغته وأصبح في مقدورها التعبير عن كل شيء، وهكذا أصبحت الكلمات غنية بالمدلولات، نتيجة الإتصال الجماهيري الواسع عبر وسائل الإعلام المختلفة.

هذه هي علاقة وسائل الإعلام باللغة العربية، ففي ما يتعلق بالصحافة المكتوبة في الجزائر،(3) ومساهمتها في نشر وتعميم اللغة العربية بعد الحقبة الإستعمارية، فإن هذه المساهمة في إعتقادنا مرت بمرحلتين. الأولى: وهي تلك التي كانت فيها الصحافة محتكرة كلية من طرف الدولة. والثانية: بعد أن أرست حرية التعددية السياسية التي ولدت بالضرورة حرية إعلامية فظهرت صحف خاصة،(4) وهكذا شكلت الكلمة المطبوعة في جميع الحالات مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظام الحياة ومشاغلها وغدت بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية.(5)

المرحلة الأولى للصحافة المكتوبة في الجزائر:

نتيجة الفترة الطويلة التي خضعت فيها الجزائر للاستيطان الفرنسي تراجعت اللغة العربية ومست الأمية 80% من الشعب، وكان إنتشار اللغة الفرنسية عبر سياسة استعمارية محكمة تتقدم وتتغلغل بإعتبارها لغة الإدارة والصحافة، فكانت النتيجة في 1962 أي مع الاستقلال أن سحبت جريدة الشعب باللغة العربية بين 10 و15 ألف نسخة يوميا، بينما الصحف باللغة الفرنسية مجتمعة كانت تسحب 125 ألف نسخة، وبعد 1965 ظهرت أول لائحة خاصة بالإعلام أوكلت للصحافة دور الخدمة العمومية وقننت تبعيتها للحكومة ودعمت جريدة المجاهد باللغة الفرنسية حيث بلغ سحبها 203 آلاف نسخة لوحدها.(6)

إذا مع الإستقلال وجدت تحديات كبيرة في ميدان الإعلام عموما والصحافة المكتوبة خصوصا. وكانت مسؤولية ثقيلة ملقاة على مسئولي الإعلام في الدولة، كيف يمكن إصلاح الخلل؟ والذي كان يتطلب أولا حسن النية في خدمة اللغة العربية.

لقد أطلقت شكوكا بعدم وجود من يتعامل مع الصحف باللغة العربية، ومحاولة الإكتفاء بالإرسال الإذاعي مادام يتعامل معه الأمي والمتعلم، فسماع لغة عربية بسيطة لا يتطلب قدرات مثل قراءة الصحف التي تتطلب مستوى على الأقل في حدود التمكن من القراءة والكتابة.

وهكذا إقتضى الأمر تكفل بعض الوزارات الخاصة بالثقافة والتعليم بالمساهمة في ذلك، فبعد جريدة الشعب التي ظهرت في 1962 تم إخراج مجلة الثقافة 1970 والأصالة والوان والوحدة والشرطة، كما تم تعريب يومية النصر إبتداء من 1972 ثم الجمهورية في الغرب الجزائري إبتداء من 1976. وأصبحت الكلمة المطبوعة باللغة العربية في الجزائر بمثابة درسا يتكرر يوميا يأخذ منه القارئ ما يجعله يتأقلم مع الوضع الجديد، لما تقدمه له هذه اللغة من معارف عن طريق الإبداع أو الترجمة،(7) فمع الوقت وتكرار ألفاظ معينة في جميع الميادين يجد الفرد أن مداركه اللغوية إتسعت دون أن يعي ذلك في حينه، ففي البداية يتجه للصحيفة لأخذ معلومات والإطلاع على الجديد، وربما لا يهمه منها سوى صفحة أو مقطع، لكنه يطلع على أكثر مما كان ينوي، بالإضافة إلى إمكانية إطلاع أشخاص آخرين عليها سواء في إطار أسرته أو عمله.

لقد تميزت هذه المرحلة أي من الإستقلال إلى 1989 بإحتكار الدولة للصحافة المكتوبة، وكان دورها هو إيصال الرسالة من القمة للقاعدة، ومع أن هناك إنحياز لصالح الصحف الصادرة باللغة لفرنسية، إلا أن المقروئية كانت تتزايد لصالح الصحافة باللغة العربية، بفعل ما إكتسبته من تجربة وإنتشار توزيعها وزيادة الأوفياء لها وإتساع الإهتمام بالحرف العربي.

في بداية الإستقلال كانت الصحف توزع في المدن، ولذلك كان المجال أخصب للصحف المكتوبة بالفرنسية، بينما عندما زاد التوزيع وطال المدن الداخلية وحتى القرى ظهرت حقيقة أخرى، إذ تزايد الطلب على الصحف باللغة العربية لطبيعة سكان الريف الجزائري، الذين تكونوا عبر تعليم القرآن، ومن ثم كان هذا المحيط الشاسع خصبا للصحف باللغة العربية.

لقد كان الطلب يتزايد على الصحف باللغة العربية ، وكان يتضاءل تدريجيا على الصحف باللغة الفرنسية، وهذا يعني مؤشر زيادة إنتشار اللغة العربية وإكتساب قراء جدد ورفع المستوى التعليمي للبعض الآخر، ولا بد من الإشارة هنا بدور المدرسة الجزائرية وخاصة في نظام التعليم الأصلي التابع لوزارة التعليم الإصلي والشؤون الدينية، الذي تكلف به أبناء جمعية العلماء المسلمين بمساعدة أساتذة من المشرق العربي.

لقد كانت هذه الفئة المتكونة باللغة العربية هي المشجعة للصحافة باللغة العربية، إلى درجة أن حصل هناك شبه تزاوج بين طرفين، جعل البعض يسعى إلى تهديد هؤلاء بعدم الإعتراف بمؤهلاتهم بما في ذلك البكالوريا المحصلة من هذه المؤسسات، ومنعوا من الإلتحاق بالجامعة! إلى أن حلت القضية بتدخل شخصي من الرئيس هواري بومدين آنذاك.

مع ذلك يمكن القول أن الصحافة المكتوبة خدمت اللغة العربية إبان الفترة الأولى، وأنشأت توازنا كان مفقودا، وأنقذت مكانة اللغة العربية في الجزائر تزامنا مع تحرك الجامعة في النصف الثاني من السبعينات، ومواقف المخلصين في مختلف أماكن تواجدهم في مناصب الدولة، وأسست لمستقبل كانت التحديات فيه أصعب وأوجدت قارئا وفيا.

كان دور الصحافة المكتوبة في هذه الفترة هو المساهمة في التعريف بالإختيارات السياسية للبلاد وأدبياته ومضامين تلك الفترة، وهكذا ظهرت مصطلحات إلى السطح تخص الداخل، من قبيل الثورة الزراعية والصناعية والثقافية والإشتراكية والتطوع والرأسمالية... إلخ، وخارجيا الكتلة الشيوعية والغربية والرأسمالية... إلخ، وهي مصطلحات لم يكن المواطن البسيط يعرفها في السابق، وهكذا في جميع الميادين الثقافية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية كانت الصحافة هي المدرسة الثانية لتعليم مصطلحات اللغة العربية، وبرهنت بالفعل على أنها تصلح لأن تكون بديلا ناجحا عن الصحافة باللغة الفرنسية التي ادعت الكمال والأسبقية لفترة طويلة. بينما هي في الواقع لعبت دورا خطيرا في الترويج للأفكار التي طرحتها مؤسسات التبشير والتغريب، بل هاجمت بعض من هذه الصحف التراث العربي ووصفته بالجمود والرجعية وإعتبرته ضد التطور.(8)

بفعل الدور الذي لعبته في نشر اللغة العربية في الأوساط الشعبية وخاصة في الأطراف، أي خارج العاصمة والمدن الكبرى، تمكنت الصحف باللغة العربية من ضرب موعد مع قرائها في فترة الإنفتاح السياسي والإعلامي.

ثانيا: المرحلة الثانية للصحافة في الجزائر:

بدأت هذه المرحلة سنة 1989 بدخول الجزائر عهد التعددية السياسية في دستور فبراير 1989، الذي سمح بالتعددية السياسية وبحرية الصحافة وتنوعها، فنشأت الخبر والسلام والنور والحياة والشروق العربي وبريد الشرق...إلخ، وهو ما يعبر عن نهاية إحتكار الدولة للصحافة، وهذا لم يأت من العدم، وإنما للدور الذي لعبته في خدمة القراء بفعل قواعد اللعبة المطبقة والتنوع الحاصل فيها وتغطيتها لمختلف إهتمامات وإنشغالات المواطن.

وبفعل هذا النجاح المحقق أندمج المواطن مع الصحافة باللغة العربية، وتطلعت هذه الأخيرة لمزيد من النجاحات في كسب قراء جدد، نظرا لأنها الأقرب لإحترام ثوابت الشعب وإفادة جمهور القراء بمعارف جديدة في اللغة العربية وإستعادة ثقته في لغته التي كاد أن يفقدها، ولم يكن يتصور أن اللغة العربية ترقى إلى هذا المستوى من التعبير والإهتمام بإنشغالاته لكثرة المشككين وطول فترة الشك هذه.

مع هذه الإنجازات تعرضت الصحافة باللغة العربية إلى صعوبات وتحديات عديدة اقترنت ببداية الأزمة السياسية في الجزائر، فكانت بين الأمرين، إما إتباع لغة الصراحة والجرأة مع قرائها وبالتالي تكون عرضة للتوقيف أو التعليق، وإما التغيير في لغتها ونهجها فتكون محل شك من طرف قرائها، وحدث إن اختار البعض الخيار الأول وتوقفت بالفعل مثل صحيفة الصح آفة، إذ بلغ سحبها في أيامها الأخيرة 300 ألف نسخة وعلقت بقرار

إداري في أوت 1992، والبعض الآخر اختار الثاني فاستمر في احتشام مثل صحيفة الخبر،(9) التي اندمجت في السياق العام الذي أصبح غالبا على الساحة الإعلامية في الجزائر، وتعد الوحيدة التي مازالت تفرض وجودها وسط الصحف باللغة الفرنسية،(10) مع الإشارة أن توجهها تغير إذا أصبح علماني، ويبدوا أن شرط بقائها اقتضى منها هذا التغيير.

وإن كان القارئ في جو الفراغ وعدم وجود البديل الأفضل، ظل وفيا لهذه الجرائد بدلا من أن يتجه إلى الجرائد باللغة الأجنبية التي إستغلت هذا الظروف لتظهر وتتوسع ومن أهمها:.

LE MATIN. EL-WATAN. LIBERTE. LE SOIR. D'ALGERIE. LA TRIBUNE…

بدت الساحة الإعلامية الجزائرية وكأنها غيرعربية،(11) عكس البلدان العربية الأخرى التي وإن وجدت فيها صحيفة باللغة الأجنبية إنما تكون موجهة للأجانب أو لنخبة قليلة لأعراض معينة، إنما ليست لعامة الناس إلى درجة تكون لها الغلبة أو تظهر كمنافس للصحف باللغة العربية.

ما سبق يؤكد أن الصحافة باللغة العربية إزدهرت وأفادت القارئ إبان الحرية الإعلامية، بينما الصحافة باللغة الفرنسية تزدهر في جو الإنفراد بالخبر والدعم المادي بطرق شتى، وإن كان في إعتقادنا يستحيل عليها تحقيق مقروئية أكبر من الصحف باللغة العربية(12). وهذا بالنظر للعينة الآتية:.

جدول يبين كمية مبيعات أهم الصحف باللغتين العربية والفرنسية في منطقة الجنوب الشرقي خلال سنة 1999.(13)

الرقم	الصحيفة	كمية البيع خلال سنة 1999	معدل البيع كل أسبوع
01	الخبر	8857436	170.335
02	النصر	712564	13.703
03	اليوم	389414	74.887
مجموع مبيعات 3 صحف سنويا			9.959.314
01	LIBERTE	1632622	31.396
02	EL-WATAN	1038993	19.980
03	LE MATIN	535635	10.300
مجموع مبيعات 3 صحف سنويا			3.207.250

جدول يبين كمية مبيعات أهم الصحف باللغتين في نفس المنطقة خلال سنة 2002.(14)

الرقم	الصحيفة	كمية البيع خلال الأسبوع الـ 25	معدل البيع المتوقعة خلال سنة 2002
01	الخبر	165.170	8.588.840
02	الشروق	49.910	2.595.320

03	اليوم	6.709	348.868
مجموع مبيعات 3 صحف سنويا			11.533.028
01	Q.DORAN	31.883	1.627.916
02	LIBERTE	13.796	717.392
03	LE SOIR	5.538	287.976
مجموع مبيعات 3 صحف سنويا			2.633.284

ما يستخلص من هذه العينة وهي بالتأكيد تختلف معطياتها عن جهات أخرى من الوطن، هو أن الصحف باللغة العربية في تزايد لجذب القراء، عكس الصحف باللغة الفرنسية التي تراجعت الساحة أمامها، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الساحة الصحفية في الجزائر تتميز بالشذوذ، إذا ما قورنت بمثيلاتها في الدول العربية وهذا لأسباب تاريخية وثقافية، الكثير منها معروف، بحيث أن الصحف باللغة الفرنسية تباع بأعداد معتبرة.

بالرغم من ذلك فإن الغلبة تبقى للصحف باللغة العربية، وهو ما يشكل فرصة مستقبلا لتقديم خدمات أكثر في سبيل تعميم اللغة العربية وترقيتها، ونستثني هنا البعض القليل من الصحف، وخاصة الأسبوعية التي أستغلت الوضع وبهدف الربح، وراحت تخاطب الشباب بلغة منحطة وصور خليعة لا تخدم اللغة العربية ولا ثقافتها بل تضر بها.

في إعتقادنا أن مستوى اللغة التي تستعمله الصحف باللغة العربية يساعد على نشر هذه اللغة، إذ أنه أسلوب ليس معقدا ويعتمد على الجمل القصيرة وعناوين واضحة، اللهم تلك المقالات المتخصصة وهي موجهة لفئة معينة مستواها أعلى. أما المادة الصحفية الموجهة لعامة الناس فهي تيسر المطالعة ولا تتطلب مجهودا كبيرا بالمواصفات التي سبق وأن ذكرناها، فكل قارئ لديه معلومات مسبقة عن ميدان معين، فصاحب المستوى الضعيف مثلا واليكن ركنه المفضل هو الرياضة، فإن الإطلاع عليه يكون بفعل معلومات مسبقة، ولذلك من السهل عليه أن يكتسب اللغة في تعامله مع هذا الركن أحسن من الصفحات الأخرى، وهذا يؤهله تدريجيا إلى التعامل مع كل صفحات الجريدة، بل ويمهد له ذلك كي يتطور في القراءة إذ يصبح قارئا للكتب.

فيما يتعلق بمساهمة الصحافة باللغة العربية في العشرية الأخيرة، فإنها كانت كسابقاتها رهينة مرحلتها والظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية، إذ روجت لمصطلحات لم يكن يعرفها المواطن الجزائري العادي، فكان بصدد مصطلح الإرهاب والإرهاب المضاد والفساد والمجازر والقتل وعشرية سوداء أو حمراء، اللائكين والإستئصاليين... إلخ، كما إقترن بالإنتخابات ومصطلحات التزوير والإقصاء. وهكذا حمل كل ميدان مفردات كانت الصحافة هي المكلفة أساسا لتبليغها للقارئ، وهي لم تكن في جميع الحالات لصالح اللغة العربية التي يتطلب الوضع ترقيتها وخدمتها، بالبحث في القواميس على المفردات المناسبة.

إن هذه المهمة للصحافة الجزائرية باللغة العربية، يتطلب منها أن تكون في المستوى، ولا بد من مراعاة إختيار الصحفيين وتحسين مستواهم لتفادي الأخطاء الشائعة الموجودة في محيطنا الإعلامي، وكذا بالإبتعاد عن الأسلوب الركيك كي نعلم لغة سليمة.

مع ما يمكن أن يسجل كنقائص، إلا أن الصحافة باللغة العربية تزداد أهميتها في بلادنا فيما تقوم به من دور في نشر اللغة العربية، ونذكر هنا بأن هذه المهمة لا تستطيع القيام بها لوحدها، لأن ذلك يتطلب إمكانيات كبيرة كي يتحقق الهدف في أقصر وقت وبأقل التكاليف، ما دام أن "التعريب نابع من إرادة الجماهير وفي إستطاعته القضاء على التبعية الثقافية المجحفة على الأقل، لكونها شكلا أو مضمونا في إعتقاد الطبقات الفوقية المرتبطة بمصالح خارجة عن البعد الثقافي الوطني، وهي مصالح ذات إرتباطات إقتصادية وإجتماعية وحتى سياسية."[15]

مما يجابه الصحافة باللغة العربية من عوائق في سبيل أداء مهامها، الصعوبات المالية والإغراءات المادية، ومن بين ما يسجل عليها أن أي نسخة تقريبا لا تسلم من إحتوائها على إعلانات باللغة الأجنبية بهدف الربح، وخاصة في صحف محسوبة على أنها تخدم اللغة العربية أو يفترض فيها ذلك.

إن الدفاع عن اللغة العربية لايجب أن ينطلق من خلفية عنصرية، بل لأنها لغة الكتابة والقراءة لأنها لغة وطنية، شأنها شأن اللغاة الأخرى في بلدانها، إذ يجب أن تسود على الأقل في المرحلة الإبتدائية* لأبناء الجزائر. وعليه فإن الحريصين على إخراج إعلاناتهم باللغة الفرنسية في الصحف باللغة العربية إنما يفعلون ذلك بهدف فرض الخطاب باللغة الفرنسية ومخاطبة قارئ الصحف باللغة العربية، بطريقة إستفزازية والتشويش عليه أو للتقرب منه عن طريق صحيفته، لعل عينة تنزلق لتقرأ محتوى الإعلان باللغة الفرنسية إذا كان متمكنا منها لعل ذلك يكون بداية تعامله مع الجرائد المكتوبة بهذه اللغة.

في بحثنا هذا وجدنا أنه من أحسن الصفحات التي تقدم خدمة للغة العربية، صفحة التسلية، التي تخصص من مساحتها حوالي 90% إلى تعليم اللغة العربية بأساليب مختلفة في شكل كلمات متقاطعة وسهمية، وهي صفحة تساهم في زيادة الثروة اللغوية العربية وتستقطب الشباب خاصة (وقد طال وقت فراغهم). وبعدها تأتي صفحة الرياضة لأنها مرتبطة بعنصر الشباب والتفرغ، وكذا بفعل تتبع مستجدات هذا الميدان من تعليق وتحليل، وخاصة إذا إقترنت بحدث مهم مثل كأس العالم، أو نهاية الموسم الكروي، والتي أدخلت بدورها كثير من العبارات في القاموس اليومي للغة العربية، مثل كلمة المونديال بدل كأس العالم والشياطين الحمر بدل الفريق البلجيكي...إلخ. وهو ما يراه البعض بأنه لا يخدم اللغة العربية السليمة.

وتأتي الصفحة الثقافية لتزيد القارئ باللغة العربية ثراء، لكن لذوي المستوى الأعلى نسبيا، وبذلك تبقى كل الصحف باللغة العربية تقدم خدمة لهذه اللغة مع فارق بسيط، وهوما يتعلق بلغة الكتابة وفلسفة الصحيفة في تقديم رسالتها الإعلامية باللغة العربية.

بمقارنة بسيطة بين صحيفة الخبر وهي أكثر الصحف إنتشارا في الجزائر، ومثيلتها الشروق الصادرتين يوم 30 جوان 2002، نجد الشروق أكثر دفاعا عن اللغة العربية، عبر ما عرف بالتصدي لتقرير بن زاغو،(16) ونداء تنسيقية المدرسة الأصلية لإفشال توصيات هذا التقرير القاضية بإدخال اللغة الفرنسية لتلاميذ السنة الثانية إبتدائي، بينما جريدة الخبر لا تشير إلى ذلك نهائيا، ولا يدل ذلك بالضرورة أنها لا تساهم في ترقية اللغة العربية، وإنما نهجها وفلسفتها شئ وإستخدامها للحرف العربي وإفادة القارئ بإضافة الجديد إلى هذه اللغة شئ آخر، ولعل تبني هذا التوجه لبعض الصحف هو الذي دفع بالبعض للإعتقاد بأن إطاراتها يتعاملون بمنطق التجار، بل إن بعضهم عبارة عن وكلاء ومندوبون ثقافيين بالمجان للغرب، يروجون لمنتجاته تلقائيا.(17)

مما سبق يتضح أن مسئولية الصحف أمام اللغة العربية كبيرة، إنها تقوم بمهمة تعميم المفردات والمصطلحات العلمية وغيرها، وهي تغذي وتثري القاموس اللغوي، وبلغتها الغير

معقدة وجملها القصيرة وعناوينها البارزة، تساهم في نشر اللغة العربية دون أن تقول للقارئ انتبه فإنني أعلمك هذه اللغة، فلو حصل ذلك لأبتعد عنها الكثير، لأن هناك من يعتقد في نفسه أنه عارف بهذه اللغة بينما هي بحر لا ينضب.

وهكذا نجد المواد المطبوعة عموما بأنها الوحيدة التي تسمح للقارئ بالتعامل معها بحرية إذ بإمكانه قراءتها متى أراد وأكثر من مرة والإحتفاظ بها،(18) ووجود إمكانية إفادة غيره بها.

على عكس هذا الإعتقاد هناك من يرى بأن ذلك أوقع مشكلا بين المجامع التي إضطلعت بمهمة التعريب والصحف السيارة التي أدخلت فوضى كبيرة في العمل الإصطلاحي وأدت إلى عدم إستقرار المصطلحات العلمية المعربة.(19) ومهما يكن فلا يستطيع أحد إنكار دور الصحافة المكتوبة في نشر اللغة العربية في بلادنا، بغض النظر عن توجه الصحيفة. فالتكن يسارية أو يمينية ، فالمهم هو مساهمتها في ترقية ونشر اللغة العربية.

ثالثا: دور الإذاعة في نشر اللغة العربية في الجزائر:

يعد الإرسال الإذاعي من أهم وسائل الإتصال الجماهيري، ولقد لجأت إليه الجزائر قبل الإستقلال، إذ كانت الثورة التحريرية تعتمد في إسماع صوتها عبر صوت الجزائر، كما تأتي أهميتها من العدد الكبير من الأميين الذين أنتجتهم السيطرة الإستعمارية، وعلى ذلك إعتبر البث الإذاعي من أهم وسائل الإعلام في نشر وتعميم اللغة العربية منذ إنشائه إلى اليوم، وسيبقى كذلك في المستقبل.

لهذه الأهمية تزايد نسبة إمتلاك جهاز الراديو في الجزائر ليصل عددها سنة 1992 إلى ستة ملايين و160 ألف مذياع، وهو ما يعادل 234 جهاز لكل ألف مواطن.(20) وهكذا كانت الإذاعة أفضل وسيلة في تعليم وتعميم اللغة العربية لأسباب أهمها: أنها تخاطب عامة الناس، فهي لا توجه خطابها للمثقفين فقط، عكس الصحف التي تتطلب حسن القراءة، فضلا على تنوع برامجها التي تمس الحياة اليومية للمواطن مباشرة، وخاصة في فترة جرى فيها تبني هموم الشعب وخدمة مصالحه في جميع الميادين الصناعية الزراعية الثقافية وهذا في فترة ما قبل التعددية، حيث كان ذلك على عائق الدولة وحدها.

بالرغم من إرتفاع نسبة الأمية، إلا أن الشعب كانت لديه قدرة إستيعابية كبيرة للغة العربية الفصحى، وإن لم تكن لديه القدرة التعبيرية، وفي هذا الشأن يتفق الباحثون على أن عامة الناس في الوطن العربي تتوفر لديهم إستيعابية للغة العربية الفصحى على الرغم من عدم تمكنهم من التعبير بها بصورة صحيحة وطليقة.(21) والدليل على ذلك تتبع المواطنين العاديين لمختلف الإذاعات الناطقة باللغة العربية عبر العالم بدون صعوبة.

لقد ساهمت الإذاعة (القناة الأولى) في تعريف المواطن البسيط مفردات الإختيارات السياسية والثقافية والإقتصادية، والتي كان الشعب يجهلها من قبل، وهذا في شكل حصص تعليمية وتثقيفية وترفيهية وإخبارية، جعلت فئة الشباب تتبعها وتزودت منها بثروة لغوية مفيدة في الدراسة لمن كان طالبا أو في حياته اليومية إن كان بعيدا عن مقاعد الدراسة.

هذا ما ينطبق على فترة مركزية الإذاعة والدور الذي قامت به القناة الوطنية الأولى على الصعيد الوطني، أما في فترة الإنفتاح الإعلامي فإن الجزائر لم تؤسس لإذاعات حرة ولكن عمدت إلى تدشين إذاعات جهوية ومحلية، والمشكلة في هذه الإذاعات أنها لجأت في

أغلب برامجها إلى المخاطبة بالعامية، بمعنى تستعمل الدارجة بحجة إيصال المعلومة لجميع فئات الشعب، مما اثر سلبا على تعميم اللغة العربية الفصحى.

إن التخاطب بالعامية له مؤيدوه ومبرراتهم أن المستمع يستجيب بسرعة بمعنى" أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقا ويستجيب لندائك فلا مفر من التضحية برونق الفصحى ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تحيا بها حياتها القومية وتعبر عن إنفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها."[22]

وهكذا لم تعد أولوية نشر اللغة العربية الفصحى قائمة، بل الأولوية في نشر المعلومة بأي لغة كانت، وهذا هو الحال كلما تنقلنا بين الإذاعات المحلية من القبائل إلى الأوراس إلى غرداية إلى الساورة والزيبان... إلخ، ومع ذلك قد نجد في هذه الإذاعات المحلية بعضا من الفائدة من خلال بعض الحصص التي تخدم اللغة العربية الفصحى، كالأخبار والحصص الثقافية والتحقيقات والمقابلات مع أهل الإختصاص.

ما يسجل كسلبية أساسية في الإرسال الإذاعي تجاه اللغة العربية، هو وجود القناة الثالثة باللغة الفرنسية، والجانب السلبي فيها ليس لأنها موجودة وقائمة كما هو الوضع في أغلب بلدان العالم، ولكن في الجزائر حالة شاذة مقارنة بالعالم العربي، إذ أن إذاعة بلغة أجنبية يفترض أنها موجهة للمستمعين خارج البلاد لإسماع صوتها، ولا مانع في أن يستمع إليها المواطن من حين لآخر، بينما في الواقع الجزائري أنها موجهة للمواطن الجزائري، وهو ما لا يشجع مستمعيها على تتبع بل فتح القناة الأولى باللغة العربية ولو مرة واحدة بسبب التعود وعوامل أخرى.

يمكن أن يكون إنشاء وقيام هذه الإذاعة له ما يبرره مع سنوات الإستقلال الأولى، لكن والبلاد تحتفل بالذكرى الأربعين للإستقلال لم يعد أي مبرر لتوجيه إرسالها للداخل، اللهم بهدف تعميم ونشر هذه اللغة على حساب اللغة العربية.

من الناحية المبدئية لا توجد هناك سلبيات في متابعة المواطن لوسائل إعلام متنوعة ومتعددة اللغات، وخاصة الشخص الواعي المثقف، بل بالعكس من عرف لغة قوم إستفاد منها، ولكن المشكل يطرح عندما يحدث ذلك أمام الأبناء وأفراد الأسرة الذين يفسرون تكرار ذلك بأنه الخيار الأحسن وهو ما يشجعهم على البقاء في هذا الإتجاه وينسون بذلك لغتهم الأم.

وما يلاحظ في السنوات الأخيرة من خلال ما ذكر، أن دور الإذاعة تناقص في إستقطاب المستمعين ويضاف إلى ذلك الإهتمام المتزايد بالتلفزيون، فهو يعد أكبر منافس للإذاعة خاصة بعد تطور الإرسال عبر الأقمار الصناعية وإنتشار ظاهرة الفضائيات، مما قلص من دور الإذاعة في تعميم اللغة العربية ولم يلغيها نهائياً.

ويمكن لهذا الدور أن يعود إذا منحت وسائل الإعلام العمومية مزيدا من حرية التعبير والعمل، كما طالب المجلس الأعلى لأخلاقيات المهنة ببعث نقاش حول دور وصلاحيات مؤسسات القطاع العمومي، والذي ينبغي أن تسير من قبل محترفين تحذوهم روح الشفافية في التسيير وروح الدفاع عن الحريات الديمقراطية.(23) وهكذا تتحقق الخدمة

الإذاعية التي تهدف إلى الإعلام والتثقيف والترفيه، وهذا يتم باللغة العربية إذا أردنا نشرها بلمس أكبر شريحة ممكنة.(24)

ثالثا: دور التلفزيون في نشر اللغة العربية في الجزائر:

إختلفت الرؤى حول التلفزيون وما أحدثه من ثورة في عالم الإتصال وإنعكاسات ذللك سلبا وإيجابا، بل إعتبره عيساوي عبد الرحمن بأنه معجزة العصر الحالي، إذ بواسطته يمكن نقل الصوت والصورة والحركة واللون إلى المشاهدين.(25) كما شبهه البعض بالمدرسة الإيجابية والسلبية، بحسب ما يقدمه من برامج، فإذا وجه توجيها صحيحا فالنتائج تكون إيجابية والعكس صحيح، وهو ما ينطق تماما على دوره في نشر وتعميم اللغة العربية في بلادنا.

ولجاذبية التلفزيون مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى، فإنه يمثل الأداة الرئيسية لتعليم اللغة العربية، خاصة لأولئك الذين لا يحسنون القراءة والكتابة، فعن طريق الصورة والصوت وبأسلوب فني جذاب يمكن تقديم خدمات كبيرة للمشاهد في هذا الإطار، كما كان الحال مع حصص كان لها دور كبير مثل ما عرف ببرنامج بين الثانويات، وما يقدم من حصص وأعمال فنية راقية باللغة العربية الفصحى.

على أن التلفزيون هو الأخر لم يسلم من نقائص العامية، وهذا شأنه في كل البلدان العربية. فبسبب نقص الإنتاج الوطني تلجأ مؤسسة التلفزة الجزائرية لشراء مسلسلات عربية وخاصة المصرية منها، والتي كان لها الأثر الواضح على المواطن الجزائري وخاصة في الوسط النسوي، إذ نجد كثرة الإلتزام بهذه المسلسلات والأفلام وتتبعها عبر حلقات طويلة، نجد أن العامية المصرية مفهومة أحسن من العربية الفصحى، بل أنها مفهومة أحسن من عامية بعض المناطق الجزائرية.

فلو بذل هذا المجهود لتعميم اللغة العربية الفصحى لكانت النتيجة مذهلة، وهذا يطرح سؤالا: هل إتباع هذا الخيار كان بسبب إنعدام الإنتاج باللغة العربية الفصحى ام سياسة معتمدة بحجة أن البديل غير موجود؟

وهكذا أصبح الحكم على نجاح برنامج ما يقاس باللغة التي يقدم بها، فعلى سبيل المثال برنامج في التلفزة الجزائرية خاص بالبحث عن المفقودين ولم شمل العائلات، يعتقد أن من أسرار نجاحه أنه يقدم بالعامية، والجميع يتأقلم معه إما بالضحك أو البكاء.

مع ذلك فإنه وبشكل متفاوت تسعى بعض القنوات التلفزيونية العربية إلى الحرص على تعليم مبادئ اللغة العربية للكبار وأخرى للصغار بمنهجية جذابة، حيث دلت دراسة أقيمت على عينة في الأردن بأن 53,3% أرجعوا سبب إمتلاكهم للصحن اللاقط إلى الرغبة في تطوير المهارات اللغوية.(26)

إذا عدنا إلى بعض الحصص أو بث الأخبار، فإننا لا نجد أي صعوبة في اللغة العربية، بل الأميين وما أكثرهم يتابعونها ويفهمون مغزاها، حيث المزج بين الكلمة والصورة يعطي نتيجة أحسن، وبذلك يتضح بأن العيب ليس في التلفزيون كوسيلة إعلام وإتصال، وإنما في إستخدام هذه الوسيلة، وكذا في منهجية الإعداد والتقديم، ولعل ما كان إيجابيا

لصالح اللغة العربية هو تعدد القنوات والفضائيات العربية، إذ ساعد ذلك على إنتشار اللغة العربية في بلادنا، حيث بعض القنوات العربية ملتزمة فعلا بخدمة اللغة العربية، وجذبت إليها كثير من المتتبعين من الساحة الجزائرية. وهذا على غرار التيار الآخر الذي زادت إمكانيات تحسين مستواه في اللغات الأجنبية، حيث توفرت له نفس الفرص.

إن الرهان في المستقبل يتوقف على سد الثغرات التي منها تنتشر اللغة الفرنسية في بلادنا، ليس كلغة علم كما هو الشأن مع اللغة الإنجليزية، ولكن كلغة بديلة للعربية، إن ضعف المستوى الفني للقنوات التلفزيونية الوطنية الثلاث بل والعربية عموما، وكذا لغياب الموضوعية فيها وإستمرار الرقابة على برامجها أمام الرغبة الزائدة في الإطلاع على القنوات الأجنبية، يؤدي بالمواطن إلى الإبتعاد عن هذه القنوات تدريجيا، ومن ثم الإبتعاد على إكتساب اللغة العربية، وهو ما يحد من فرص إنتشارها ويقلل من إمكانية تعميمها.

إذا لا بد وأن تدرس بعناية الأسباب الحقيقية التي جعلت كثير من المواطنين يتتبعون مقابلات كأس العالم على القناة الفرنسية الأولى T.F.1، ولا يرغبون في تتبعها عبر القناة الداخلية باللغة العربية؟ قد يبدو هذا التساؤل بسيط، ولكن واقع ذلك يؤدي إلى أن الشخص في كل مقابلة وهي تدوم ساعة ونصف مضروبة في عدد المقابلات يجد أنه قضى آلاف الدقائق في حصص تعليمية باللغة الفرنسية، وبهذا يكون بشكل أو بآخر قد عزز تعليمه في اللغة الفرنسية على حساب تعميم وإنتشار اللغة العربية، وهو ما قد يعتبره البعض تصرفا عاديا ينبع من حرية الشخص في تتبع ما يريد من القنوات.

إذا لكي تتبوأ اللغة العربية مكانتها الحقيقية، لا بد وأن تمنح الثقة الكافية عبر وسائل الإعلام المختلفة، بحيث يكون هناك إلتزام من الجميع، فمثلا المواطن يزداد ثقة في لغته عندما يرى القادة ملتزمون بها، فلا يعقل أن تنتظر خدمة اللغة الفرنسية في فرنسا وقاداتها يخاطبون شعبهم بالألمانية، إن مثل هذا إذا حصل من إي مسئول فهو تقصير بل ضربا للغة بلاده، لأن ذلك لا يؤدي فحسب إلى إهتزاز مكانة هذه اللغة لدى الشعب، بل قد يفقد ثقته فيها أو تكون بداية لأزمة ثقة وهوية في المجتمع كله.

إذا أردنا خيرا باللغة العربية، فعلينا الإهتمام بالمدرسة ثم التلفزيون، لأن هذا الأخير أهم وسائل الإعلام والأكثر قربا من الأطفال والأشد تأثيرا في سلوكهم، ولعل عينة واحدة تؤكد هذه الأهمية، إذ أن حصص الأطفال من لعب ورسوم متحركة والبرامج التعليمية المبسطة معروف وقعها لديهم، وهم جد حريصين على متابعتها إلى درجة أنهم يدخلون في كثير من الأحيان في خصومات بالقبلات وأحيانا بالبكاء مع الأب الذي يريد متابعة الأخبار، أو مع الأم التي تريد متابعة مسلسلها المفضل، وهذا في حالة توفر جهاز تلفزيوني واحد في البيت وهي السمة الغالبة في الأسر الجزائرية.

إن هذا الحرص من الأطفال على التعلم خاصة في عطلهم، يجعلهم يرددون كثيرا من الأغاني والحوارات التي تجري بين أبطال هذه المسلسلات، فنجد الطفل فعلا يتزود بكثير من التعابير وينطلق لسانه في التعامل مع اللغة العربية الفصحى قبل دخوله المدرسة.

وهكذا يصبح من الأهمية بمكان أن يحرس التلفزيون على إستخدام اللغة العربية الفصحى، مع إيجاد ضوابط معروفة، ولا تترك الأمور إلى التقدير الفردي للمذيعين، ونفس

الشيء في قسم ترجمة الأخبار والموضوعات من وسائل الإعلام العالمية ونقلها إلى العربية.(27)

الخاتمة : .

ملخص النتائج:.

1 . وسائل الإعلام في بلادنا مهما تنوعت وقويت فلا يمكن أن تؤدي بمفردها رسالة تعميم ونشر اللغة العربية، بل لا بد للشخص أن ينال قدرا مهما من الأقل إلى المستوى التعليم في المدرسة الذي تؤهله على الذي يسمح له بالقراءة والكتابة، كما يتطلب الأمر إنشاء هيئات أخرى تساعد في ذلك.

2 ـ إن ما آلت إليه اللغة العربية في بلادنا، ليس بسبب وسائل الإعلام في حد ذاتها، بل للسياسة التي تسير هذه الوسائل وهي مسطرة في أغلبها من جهات تبدى في كثيرا من الحالات شكوكا حول هذه اللغة ومازال، وهذا بفعل عوامل عديدة تحتاج إلى حسم نهائي.

3 ـ اللغة العربية في بلادنا شأن كل اللغات، لا يمكن أن تتطور وتنتشر إلا بتطور مستعمليها ومدى وفاتهم وخدمتهم لها، كي تكون في مصاف اللغات الأخرى بل والتسابق معها نحو الصدارة بإثراء تراثها التعبيري وتنويع وسائل تبليغها، وفي هذا السياق تأتي وسائل الإعلام المتنوعة في إيصال اللغة العربية إلى جميع المواطنين.

4 . إن الحديث عن وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية، هو في حد ذاته تشكيك في مدى إلتصاق هذه اللغة بالشعب، وهذا ما يطرح ضرورة القيام ببحوث أخرى تجيب على تساؤلات من قبيل: هل أن الشعب الجزائري لم يقبل هذه اللغة، أم منع منها بالقوة؟ وما هو مصدر هذا المنع خلال أربعين سنة من الإستقلال؟ لأن الفترة التي سبقت ذلك ألصقت بالإستعمار وكان ذلك مقنعا إلى حد ما. فإذا كان الإحتمال الأول هو الصحيح، فمن الصعب أن تعمم هذه اللغة. وإذا كان الإحتمال الثاني هو الصحيح فإن الشعب سيلتقط لغته بوسائل الإعلام أو بغيرها.

5 . عدم وضوح الموقف الرسمي من اللغة العربية في مختلف المراحل، وهذا خلق شك وريبة في وسط الشعب والمثقفين خاصة، وجعلت المواطن حائرا، فمن الناحية الدستورية تعد اللغة الرسمية، ومن جهة أخرى لا تلزم بعض الهيئات الرسمية حتى بالمراسلة بها.

6 . إن وجود وسائل الإعلام بلغات أجنبية ليس خطرا في حد ذاته على اللغة العربية، ولكن الخطر في تبني هذه الوسائل لمبدإ تعميم هذه اللغات الأجنبية على حساب العربية.

7 . يختلف دور وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية، إذ يعد التلفزيون أكثرها تأثيرا خاصة في أوساط الشعب الضعيف أو المتوسط المستوى، لأن دمج الصورة والصوت يؤدي الغرض أكثر، كما أنه الوسيلة الأكثر فعالية لتعليم الأطفال مبادئ اللغة العربية قبل دخول المدرسة والإستمرار في مساعدتهم بعد ذلك.

التوصيات:.

1 ـ إنشاء آليات لخلق حب من نوع خاص بين الطفل و اللغة العربية، وهي مسئولية الجميع، من الأسرة إلى المؤسسة التربوية ووسائل الإعلام، فبدون هذا الحب لا يمكن للمواطن أن يكون صادقا في خدمة لغته.

2 . لكي تؤدي وسائل الإعلام دورها الكامل في خدمة اللغة العربية، لا بد من ضمان جو مناسب لهذه اللغة كي تسود، على أنها لغة رسمية وإلزامية في الطور الأول على الأقل، تمكن المواطن من القراءة والكتابة بها. فلو إفترضنا تطبيق ما يقال عن اللغة الفرنسية أنها ستدرس في السنة الثانية إبتدائي، فإننا وضعنا لغتين في مستوى واحد، وبالتالي نكون بصدد تلميذ تائه إذ يصبح في حالة تشوش ذهني، قد لا يتقن أي لغة من اللغتين، وإذا أضفنا إليه ما تقرر بشأن الأمازيغية فإننا نريد أن نخرجه في شكل موسوعة لغوية وهو في الطور الإبتدائي.

3 ـ إن وسائل الإعلام لا تتوجه جميعها بصدق لخدمة اللغة العربية، إلا إذا لمست صدق المواقف الرسمية، إن المواقف المختلفة والمتناقضة أحيانا بين ما أقره الدستور والممارسة، تجعل الشعب ووسائل الإعلام الخاصة والعامة تشكك في مصداقية هذه اللغة، فالمطلوب الثبات على الموقف وخدمة اللغة العربية إذا كانت حقا هي اللغة الرسمية، فمثلا تشجيع الإشهار باللغة العربية خاصة إذا كان مصدره مؤسسة عامة تابعة للدولة، وإنشاء مؤسسات ومراكز لمحو الأمية وتعليم الكبار، وخلق حوافز لتعليم اللغة العربية لجميع الأصناف ذكورا وإناثا، وخاصة للإطارات الذين لا يحسنون إستخدامها. بتعبير آخر هي دعوة لإعادة النظر في فلسفة الإعلام الجزائري ليحترم ثوابت الأمة ولا يحق لأي كان تجاوزها بحجج واهية.

4 ـ إنشاء شبكة عربية واسعة للتنسيق الإعلامي وتبادل التجارب في ميدان تعميم اللغة العربية الفصحى في الحدود الدنيا، أي البسيطة والعمل من خلال الجمعيات والهيئات المختلفة لوسائل الإعلام العربية عبر عمل مشترك ومنسق للبحث عن أنجع الأساليب لتعميم ونشر اللغة العربية، مع توصيات تأخذ في عين الإعتبار خصوصية بعض البلدان كالجزائر، مثلا التي يعرقل فيها تجذر اللغة الفرنسية في الإدارة ومواقع صنع القرار . يعرقل . عملية نشر اللغة العربية وتعميمها بسرعة. وإن كان البعض يعتقد أن هذه الفترة تم تجاوزها بالنظر إلى الفترة الطويلة للإستقلال.

5 . إنشاء جائزة سنوية وطنية تقدم لوسائل الإعلام، من أجل التنافس حول خدمة ونشر اللغة العربية، وإنشاء شبكة عربية مستقلة للتنسيق الإعلامي وتبادل التجارب حول تعميم اللغة العربية الفصحى مع تزويدها بالإمكانيات اللازمة.

6 ـ إن وسائل الإعلام الرسمية وهي كمرآة تعكس توجه الدولة، لا بد وأن تكون السباقة لخدمة اللغة العربية والعمل على تعميمها، لأنها مرجع ودليل للشعب بل وللمؤسسات الإعلامية الأخرى، على إعتبار أن وسائل الإعلام الخاصة قد يكون هدفها ربحي ولا تذهب مباشرة لخدمة اللغة العربية، وهو يعبر عنه من خلال ما تتضمنه صفحاتها من إشهار باللغة الفرنسية، مادام ذلك يكفل لها دخلا مغريا.

7 . على وسائل الإعلام باللغة العربية والمقتنعة بسيادة هذه اللغة، أن تضع برنامجا لخدمتها في ظل مجهود شخصي وجماعي، لأنها تمر بفترة صعبة، إن الكتابة الصحفية أو الحديث بهذه اللغة لا يكفي وحده، بل البحث عن الطريقة المثلى للإرسال والتحرير بأساليب جذابة وصورة مغرية تكون في مستوى المنافسة العالمية، (وهي منافسة متوحشة) لا تترك أي فرصة للضعيف إلا وإلتهمته.

8 . مزيد من الدراسات والبحث حول أهم المناهج لنشر اللغة العربية بواسطة وسائل الإعلام، ورفع كفاءة العاملين في هذا القطاع لأداء دورهم على أحسن وجه، في ظل عالم مفتوح. ففي العالم العربي هناك ما يزيد عن 30 قناة تلفزيونية غير مشفرة، لو تخصص كل واحدة نصف ساعة يوميا تستهدف كل الفئات وتكون هناك حوافز تتبعها، فإن النتائج ستكون مذهلة خلال سنوات قليلة، ولكن لا بد من إيجاد الطريقة الفعالة لجذب المستمع والقارئ في وسط شديد المنافسة بين القنوات والصحف والبرامج. (فمثلا لا بد من تفعيل مؤتمرات وزراء الإعلام العرب عمليا وليس بروتوكوليا فقط).

9 ـ على وسائل الإعلام المختلفة إعتماد اللغة العربية الفصحى المبسطة، كي تكون في متناول أكبر عدد ممكن من القراء والمتتبعين، ولا بد من جهد عربي موحد لتعميم هذه اللغة المبسطة في وسائل الإعلام المختلفة كمرحلة أولى.

10 . إن خدمة اللغة لا تكون بوجود بعض المراكز المختصة كالمجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر فحسب، أو إبداء الحكومة نيتها في ذلك أو التمسك بشكليات الأمور، بل لا بد من عمل إعلامي هادف، والذي لا يكتفه ملا أو غموضا، لأن الساحة أصبحت ساحة تنافس بين اللغات كما هي بين الثقافات والحضارات.

11 ـ في الجزائر، لا بد من تصحيح خلل الإرسال الإذاعي، إن الإذاعات المحلية هربت المواطن عن الإذاعة الوطنية التي تلتزم بما فيه الكفاية باللغة العربية الفصحى، والسير في الوضع الحالي يساهم في تعميم العامية. زد على ذلك أن الإبقاء على القناة الثالثة بما هي عليه هو مضر للغة العربية، إذ من المفيد أن تقسم وقتها بين أهم لغات العالم وتوجه رسالتها للخارج، ولا تبقى حكرا فقط على اللغة الفرنسية.

12 ـ لإثراء اللغة العربية، على وسائل الإعلام تنشيط الترجمة كي تنقل التطورات العالمية إلى القارئ باللغة العربية، ومن ثم تحميه من أن يتوجه إلى وسائل الإعلام الأجنبية، بل إن حسن هذا الخيار والنجاح فيه سيزيد من قرائها ومن ثقة القارئ في هذه الصحافة، ونفس الشيء يقال عن التلفزيون إذ المطلوب دبلجة الحصص والأفلام الأجنبية، لقد برهن هذا الأسلوب على فعاليته في التمكن من اللغة، إذ أن المشاهد وهو يتتبع الصورة ينشأ لديه حافزا قويا لفهم محتوى الحوار إذا كانت الدبلجة صوتية، وتتولد لديه الرغبة في قراءة ما يكتب على سطح الشاشة إذا كانت خطية، ويكون بصدد القراءة العفوية دون أن يدري بأن ذلك يزيد من مستواه اللغوي.

13 ـ لا بد من البحث عن أسلوب فعال لرفع مقروئية الصحافة باللغة العربية في المحيط الذي ترتفع فيها مقروئية الصحف باللغة الفرنسية، وهذا تحدي كبير يجب أن تساهم فيه عدة جهات في البلاد، وفي مقدمة ذلك تحسين مستوى البرامج المختلفة باللغة العربية لإستقطاب القراء والمستمعين والمشاهدين.

14 ـ إن إستعمال اللغة الأجنبية من قبل مسئولين رسميين عبر وسائل الإعلام لمخاطبة الشعب يمكن أن يكون له مبرر في بداية الإستقلال، أما الآن وبعد أربعين سنة من الإستقلال فلم يعد هذا المبرر قائما.

هوامش البحث:.

1 . محمد المنجي الصيادي، التعريب في الوطن العربي، في كتاب جماعي: التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان الطبعة الثانية 1986، ص42.

2 . مها قنوت، اللغة العربية واقعها وآفاق تطورها، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد الأول، مارس 1999، ص.123

3 . أنظر فضيل دليو، الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والاغتراب، المستقبل العربي، العدد 255، ماي 2000، ص 47-61.

4 . حول حرية إصدار الصحف أنظر: عصمت عبد الله الشيخ، النظام القانوني لحرية إصدار الصحف، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى 1999، ص.214

5 . مها قنوت، نفس المرجع السابق، ص .124

6 . فضيل دليو، نفس المرجع السابق، ص49-50.

7 . حول الترجمة من وإلى اللغة العربية أنظر: كتاب جماعي، الترجمة في الوطن العربي، نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة، مركزدراسات الوحدة العربية لبنان، الطبعة الأولى 2000. 414ص.

8 . محمد فلاح القضاة، العوامل المؤثرة في ولادة التلفزيونات العربية وتطورها، مجلة دراسات، المجلد 25، العدد 01، 1998، ص 96.

9 . سنة 1999 إحتلت جريدة الخبر الصدارة بأكثر من 60 في المئة من المبيعات مقابل كل الجرائد اليومية باللغتين، وهذا في منطقة الجنوب الشرقي أنظر: مؤسسة طلحة، باتنة، لتوزيع الصحافة في الجنوب الشرقي،.1999

10 . فضيل دليو، نفس المرجع السابق ، ص.53

11 ـ بالرغم من مكانة اللغة الفرنسية في الجزائر إلا أن ذلك لم يجعلها تنظم إلى المنظمة الفرنكفوتية، لحد الآن، وهو ما دفع أمينها العام بطرس بطرس غالي إلى التساؤل عن أسباب عدم انضمام الجزائر بالرغم أنها أكثر دول العالم بعد فرنسا استخداما للفرنسية، وعليه أوضح

أنه من بين أهدافه إلحاق الجزائر بهذه المنظمة، جريدة الخبر، العدد 3511، 29 جوان 2002، ص7.

12 . من خلال عينة عشوائية وجدنا أن نسخة من صحيفة باللغة العربية لا يقرأها مشتريها فقط بل يطلع عليها بين 02 إلى 04 أشخاص، بينما نسخة من صحيفة باللغة الفرنسية لا يطلع عليها أكثر من شخصين، كما أن ذلك يتضح بازدياد الإقبال على الصحف باللغة العربية قياسا على منطقة الجنوب الشرقي للجزائر.

13 . الأرقام الأولية لهذه الجداول مأخوذة عن مؤسسة طلحة لتوزيع الصحافة باتنة، بتاريخ 09 جويلية 2002. أما منطقة الجنوب الشرقي فتشتمل على محور عين مليلة، باتنة، بسكرة، مسيلة، واد سوف، ورقلة. وهو محور من منطلق تاريخي وثقافي أقل تأثرا بمخلفات الاستعمار، والتغلغل الفرنسي فيه، مقارنة ببعض المناطق من الوطن، وهذا يعد من عوامل الإقبال على الصحف باللغة العربية أكثر من الصحف باللغة الفرنسية. ولقد أبلغنا من نفس المؤسسة أن بلدية في ولاية مسيلة تستقبل يوميا 200 عدد من جريدة الخبر لوحدها، بينما لا توزع فيها أي عدد من الصحف باللغة الفرنسية.

14 ـ يلاحظ في هذه العينة أن ما تبقى من صحف أخرى باللغتين، يمثل أقل من 15 في المئة سواء تعلق الأمر بسنة 1999 أو بـ .2002

15 . محمد المنجي الصيادي، نفس المرجع السابق، ص35.

(*) تؤكد بعض البحوث أن إيجابيات تدريس الطالب بلغته الأم كثيرة، لأن ذلك يتيح له مجالا واسعا لحرية النقاش وطرح الأسئلة، فالمتعلم بغير لغته يحجم أحيانا عن المشاركة نظرا لوجود الحاجز اللغوي. سعدي بن هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 2002، ص .74

16 ـ علي بن زاغو كان ضمن لجنة التربية والتكوين التي تأسست عقب المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني سنة 1979، وكان آنذاك مدير جامعة باب الزوار، كلفه الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة برئاسة لجنة لإصلاح المنظومة التربوية، ومن بين ما جاء في تقريره، تدعيم اللغة الفرنسية في المدرسة الجزائرية على أساس أنها لغة العلم والتكنولوجية، إذ اعتبره البعض يمثل اللوبي الفرنكفوني المتجذر في الجزائر. أنظر عثمان سعدي، قصة علي بن زاغو مع جبهة التحرير الوطني، الشروق، العدد 503، 29 جوان 2002 ص 4. كما تعرض تقريره وإقتراحاته إلى رد فعل قوي جاء خاصة من التنسيقية الوطنية لدعم المدرسة الأصيلة والمتفتحة. أنظر نص البيان الموجه إلى الشعب الجزائري عامة. في:جريدة الشروق، نفس العدد والصفحة.

17 . محمد فلاح القضاة، نفس المرجع السابق، ص.102

18 . راسم محمد الجمال، الإعلام العربي المشترك، دراسة في الإعلام الدولي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية 1986، ص.99

19 . محمد المنجي الصيادي، نفس المرجع السابق، ص.33

20 . محمد فلاح القضاة، نفس المرجع السابق، ص .99

21 . عبد العزيز بن عبد الله، تعقيب 1، كتاب جماعي، نفس المرجع السابق، .418
22 . مها قنوت، نفس المرجع السابق ، ص .130
23 . ق.م، المجلس الأعلى لأخلاقيات المهنة، الخبر، العدد3511، 29 جوان 2002.
24 . كرم شلبي: الخبر الإذاعي، فنونه وخصائصه في الراديو والتلفزيون، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، الطبعة الأولى 1985، ص.99
25 ـ عيساوي عبد الرحمن، الأثار النفسية والإجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص17.
26 . محمد فلاح القضاة، نفس المرجع السابق، ص 141.
27 . سعد بن هادي القحطاني، نفس المرجع السابق، ص 75.